مقال خليل عبد الكريم عن كتابى عنه

الشاهد فى القصة أن عبد الكريم لم يحاول أن يرد على أى شىء مما بينتُ سخف منطقه وتدليسه فيه (أو بالأحرى: منطق الذين كتبوا له الكلام وتدليسهم)، وهو كثير كثرة فادحة، بل اكتفى بالثناء علىّ والقول بأنى... وأنى... مما سيطالعه القارئ الآن. وقد تعمدت أن أضع المقال كاملا بين يدى القارئ كى يعرف أن أمثال عبد الكريم لا يملكون شيئا من الحجة، وإلا لردّ على انتقاداتى له وتفنيداتى العنيفة لما جاء فى الكتب التى تحمل اسمه.

بل بالعكس أَقَرَّ بأننى قد نجحت فى فهم مرامى كلامه ووضعت يدى على ما يريد أن يقوله مما لم يحن الوقت بعد للتصريح به، وهو إقرار غريب لأن أمثال عبد الكريم دائما ما يدّعون أنهم أفهم للإسلام ممن يغارون على الدين وأحرص على الدعوة إليه وانتشاره. كما أود أن ألفت القارئ إلى التدليس الذى لجأ إليه هنا أيضا والمتمثل فى تلاعبه بعنوان كتابى، إذ سماه: "اليسار الإسلامى وتطوراته.." (هكذا بالحرف والنقطة)، بدلا من "اليسار الإسلامى وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة" كى يضلل القارئ عن العنوان الحقيقى الذى يفضحه ويفضح مراميه ومرامى من يشجعونه على هلاكه.

وهذا هو نص المقال، وعنوانه: "فى كتاب إبراهيم عوض: اليسار الإسلامى وتطوراته..":
"سلك أ. د. إبراهيم عوض سلوكًا حضاريًّا بالغ الروعة والسموّ يليق به كأكاديمى وأستاذ جامعى بخلاف من عداه من "الإسلامويين". أصدر، مشكورًا، كتابًا يقرب من ثلاثمائة صفحة قدَّم فيه عرضًا نقديًّا لمؤلفاتى: "لتطبيق الشريعة لا للحكم"، "الجذور التاريخية

للشـــريعة الإســـلامية"، "قبيلـــة قـــريش من القبيلـــة إلى الدولـــة المركزية"، "الأسـس الفكريـة لليسـار الإسـلامى"، "مجتمـع يـثرب: العلاقـة بين الرجـل والمـرأة فى العهـدين المحمـدى والخليفى"، "شدو الربابة بأحوال مجتمـع الصـحابة". ويتضـاعف امتنـانى لـه لـو تفضـل بـآخر يتنـاول باقيهـا: "الإسـلام والدولـة الدينيـة والدولـة المدنية" و"العرب والمرأة" و"بصائر فى عام الوفـود وفى أخبـاره" و"فـــــــترة التكـــــــوين فى حيـــــــاة الصـــــــادق الأمين".

ووجه الرقىّ فى منحى الأستاذ الفاضـل والـذى فهمتُـه بعـد قـراءة كتابه يتمثل فى عدة أمور أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: 1

-ـ أنه لم يجنح إلى التكفير كبعضهم، ولم يعمـد إلى الـرمى بـالردة، ولم يسـارع إلى الاتهـام بـالخروج عن الملـة، ولم يُفْتِ باسـتحلال الدم، ولم يحرّش على القتل، بل على العكس يدين هذه الاتجاهات. 2- وبالتالى فهو يؤكد أن الإيمان علاقة شديدة الخصوصية بين العبد والرب، وأن اللـه جـل شـأنه هـو وحـده الـذى يحاسـب عليـه. 3- لم يسـتنفر فخامـة رئيس الجمهوريـة (كمـا فعـل أحـدهم، ومن أعجب الأمور أن البعض حتى هذه اللحظة يعدّه مفكرا مسـتنيرا) ولا غـيره من المســـــــؤولين ولا حـــــــرّض أحـــــــدا منهم ضـــــــدى.

4-ـ لا يقر اللجوء إلى القضاء، إذ يرى أن السـلوك الأمثـل هـو الـرد والتفنيد والتعقيب، ومبدؤه: "كتـاب مقابـل كتـاب"، وهـو مـا حـدث إبـان الحضـارة الإسـلامية الزاهـرة. وهـو ذاتـه حقـق ذلـك فى هـذا الكتاب الذى نقد فيه طائفة من كتبى، وأنتظر منه الآخر لتغطيةِ (أو بمعنى أدق: لنَقْدِ) باقيها، وله المنة. كما أصدر تعقيبا على كتـاب د. محمـود على مـراد عن السـيرة النبويـة عنوانـه: "إبطـال القنبلـة النوويـــــــــــــــــــة" وغـــــــــــــــــــيره.

5ـ لم يقرأ قراءة سطحية كما يفعل البعض (هذا إذا قرأ ولم يسمع كلمـة من هنـا وجملـة من هنـاك ثم يـدبج مقالـة)، بـل تعمـق فى المطالعة، ومن ثم فطن إلى ما هو مخبـوء بين السـطور ومـا جـاء، تحت ضغط الظروف، تلميحا لأن الوقت لم يحن بعـد، وربمـا لعقـود قادمة، للتصريح به، وما ألغزتُ فيه ففَقِهَ مـا رميتُ إليـه. 6- امتلـك قدرًا مُفَرْسَخًا من الفراسة جعلـه يـدرك أن المسـتجدّات المتلاحقـة والمســتحدثات المتواليــة والتغيــيرات المتعاقبــة قضــت باســتحالة استمرارية الأسـلوب التفخيمى التبجيلى عنـد الكتابـة عن الصـحابة مثلما فعل العقاد وهيكل وخالـد محمـد خالـد...إلخ أو عن غـيره من المواضـــــــــــــــــــــــــــــــيع،

وأنه من الحتم اللازم ظهور الأسلوب الموضوعى النقدى المتــوازن مثل الذى ألزمْنا أنفسنا بــه، وأن من الخطـإ المنهجى الفـادح قَمْـعَ

هذا المنزع لأن إعادة عقاربالساعة إلى الوراء عبث وتضييع وقت.
7- دَلَّ كتابُه الناقد أو نقدُه المكتوب على صبره وتأنِّيه، فهو لم يتسرع أو يهرول بل نقَّب وحَفَر ونقَّر، وبذا قدّم دليل الثبوت على أن مؤلفاتنا (وهذا من فضل الله علينا) شديدة التوثيق.

بل إن هناك من وصفها بالمبالغة فى هذا المضمار. ولعل هذا يفسر إحجام كل من كتب عنها حتى من الهيئات العلمية عن التصدى لنقدها نقدا موضوعيا كما فعل الدكتور إبراهيم عوض. أكتفى بهذه النقاط حتى لا يطول المقال.
أما تعدِّيه على شخصى الضعيف فى كل صفحة تقريبا فلم يؤذنى لأننى أتأسَّى بالحبيب المصطفى عليه وآله أزكى السلام، فقد خرجتُ من طول معايشتى لسيرته العطرة أنه ما غضب لنفسه قط. إنما آلمنى أنه جرَّح بسببى أخى وصديقى د. سيد محمود القمنى، ونال من الزميلتين الفاضلتين الأستاذتين فريدة وأمينة النقاش، وكنتُ آمل ألا أغدو طريقا لإيلامهم.

مسألتان أَسْتَمِيحه عذرا كيما أعلِّق عليهما: الأولى- سألت الله تبارك وتعالى له أن يريح صدره مما حاك فيه بأن يوفق أحد الدارسين فى حياته لا من بعده ويثبت له أن مؤلفاتى ليست من عملى، ولكنها من تصنيف طائفة من المستشرقين (ص260)، لأنه يؤذينى كثيرا أن يظلّ هذا الخاطر يَسُوط فى صدره (فى "أساس البلاغة" للزمخشرى: سَاطَ الهريسة، وساط الأَقِط: خَلَطَه).

الأخرى- أفزعنى عندما شكك فى مصريتى ونسبنى إلى الجزيرة إياها البالغة القداسة الشديدة البركة، فأنا لا يسرنى يا دكتور أن يكون عندى "حُمْر النَّعَم" كما يقول أصحابك الميامين فى أمثالهم البليغة ولغتهم الفصيحة وأن تُنْزَع عنى مصريتى! أتعرف لماذا؟ لأن مصر وحدها دون غيرها هى التى علَّمت الدنيا بأسرها أمرين: الضمير والحضارة. ختاما أ. د. إبراهيم عوض، شكرا".

وإذا كان لى أن أُعَقِّب على هذا الكلام فهو أننى كنت قد اتهمته بالتسرع والالتواء فى قراءة النصوص والجهل بنصوص أخرى على قدر كبير من الأهمية أو التجاهل لها، فضلا عن العجز عن استخلاص النتائج الصحيحة مما يقرأ، إلى جانب تدليسه فى الاستشهاد بالنصوص هو وسيد القمنى، الذى نقل عن د. جواد على من كتابه "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" نصًّا طويلاً فأسقط بضعة عشر سطرا منه عامدا متعمدا دون أن يترك مكانها نقاطا كى يعرف القارئ أن هاهنا كلاما محذوفا (بغض النظر الآن عن أن هذا المحذوف لا يصح حذفه البتة لأنه يفسد المعنى ويقلبه رأسا على عقب).

ثم زاد على ذلك فلَحَمَ الكلامين بطريقة خبيثة لا يتنبه معها القـارئ إلى عملية التلاعب الدنيئة الـتى تمت بلَيْـل! والنص المـذكور خـاص بالكلام عن أميـة بن أبى الصـلت، وهـل اسـتعان بـالقرآن فى نظم الأشعار المنسوبة إليه والتى تشبه آى الذكر الحكيم؟ أم هـل النـبى هـو الـذى اسـتعان بشـعر الرجـل؟ أم تـرى الأمـر كلـه لا يخـرج عن اســــــــتقاء الاثـــــــــنين من مصــــــــــدر مشــــــــــترك؟

وقـد انتهى جـواد على إلى أن أشـعار أميـة ذات الصـبغة القرآنيـة الواضحة منحولة عليـه بعـد الإسـلام، ومن ثم فلا تشـابه بين شـعره وبين كتاب الله على الإطلاق مما لا يعود معه مجال للحديث عن أثر شعره فى القرآن المجيد. لكن تدليس سـيد القمـنى يقلب القضـية رأسا على عقب، إذ يُظْهر جواد على فى صورة المشايع لمـا يـردده ملاحدة عصرنا من أن الرسول قد استعان بشعر أمية، وهو عكس ما انتهى إليــــــــــــــــــــه الرجــــــــــــــــــل فى كتابه.

ويمكن القـارئ الرجـوع إلى دراسـة مطولـة لى فى هـذا الموضـوع منشورة فى بعض المواقع المشـباكية عنوانهـا: "القـرآن وأُمَيّـة بن أبى الصـلت: أيهمـا أخـذ من الآخـر؟"، بيَّنْتُ فيهـا بالـدليل الصـارم القـائم على وقـائع التـاريخ وتحليـل النصـوص واستشـفاف الجـو النفسـى والاجتمـاعى فى ذلـك العصـر أن من المسـتحيل القـول باقتبـاس القـرآن من شـعر أميـة، وإلا لكـان قـد فضـح النـبىَّ عليـه السلام هو ومن يشايعه على موقفه من مشـركين ويهـود، وبخاصـة قومُه بنو ثقيف الذين دخلوا جميعا الإسلام ولم نسمع من أى منهم ولا حتى من أقرب المقربين إليه كأختـه أو أبنائـه أن هنـاك تشـابها (مجرد تشابه!) بين شعره وبين القرآن الكـريم، وأنـه إذا كـان لا بـد أن نقول بالتشابه بين شعره وبين كتـاب اللـه فلا بـد أن يكـون هـو المقتبس من القرآن لا العكس.